الهجرة ودورها
فى
التمكين للدعوة

الدكتور
عبد الفتاح عبد العزيز حسين
مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، والصلاة والسلام على النبى الأمى الصادق الوعد الأمين ، وعلى الآل والصحب أجمعين ، ورضى الله عن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

" وبعد "

فهذا بحث فى موضوع " الهجرة ودورها فى التمكين للدعوة " أحببت من خلاله أن أبين لماذا كانت الهجرة ؟ وما الدور الذى لعبته هذه الهجرة المباركة فى التمكين للدعوة إلى دين الله – عز وجل –

وقد سقت فى هذا البحث طرفا يسيرا عن الدعوة قبل الهجرتين، الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة ، وقد يسر الله لى أن اكتب شيئا عن بعض الحملات المغرضة التى تقلل من شأن حادث الهجرة كما تحدثت عن سنة الأخذ بالأسباب ، وكيف كان لها أعظم الأثر فى نجاح الهجرة وتأمينها .

وبينت أن الهجرة مرتبطة بعالمية الدعوة ارتباطا وثيقا .

وأخيرا أوضحت بعض الجوانب العملية للدعوة من خلال الهجرة ومدى حاجتنا إليها .

هذا ولم أتبع أسلوب الرد القصصى كما هو مبسوط فى كتب السيرة ، فذلك له موطنه ،وإنما ركزت على مواطن وأحداث معينة ، كان لها الأثر العظيم فى التمكين للدعوة .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

التعريف بالهجرة وأسباب مشروعيتها

إذا نظرنا إلى الهجرة فى اللغة فسوف نجدها تدور بين المعانى الآتية:

فيقال : هَجَرَ هَجْرًا : تباعد ، وهجر الشئ أو الشخص هجرا ، وهجرانا : تركه وأعرض عنه ، ويقال : هجر زوجته : اعتزل عنها ولم يطلقها ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ﴾(١) .

وهجر الدابة : هجرا وهجورا : أوثقها بالحبال ، وأهجر : سار فى الهاجرة دخل فى وقت الهاجرة ، ويقال : أهجرت الفتاة : شبت شبابا حسنا، وهجر بفلان : استهزأ به .

ويقال : هاجر : ترك وطنه وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)

وهاجر من مكان كذا ، أو عنه : تركه وخرج منه إلى غيره ، وهاجر القوم : هجرهم وانتقل إلى آخرين .

والهجرة : الخروج من أرض إلى أخرى ، وانتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعياً وراء الرزق (٣)

ومن المعانى السابقة يتبين لنا أن اللفظة ثرية وغنية بالمعانى الكثيرة ، والتى منها معنى الخروج والترك من مكان إلى مكان .

---

(١) سورة النساء : آية رقم : ٣٤

(٢) سورة الحشر : آية رقم : ٩ .

(٣) المعجم الوسيط : الصادر عن مجمع اللغة العربية – ج٢ – ص : ٩٧٢، ٩٧٣ – ط : سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م – دار المعارف لسان العرب ج٧ مادة هجر .

وفى الاصطلاح الشرعى : يقصد بالهجرة ، هجرة الرسول (ﷺ) وصحبه – من مكة إلى المدينة ، والمهاجرون : الذين قاموا بهذه الهجرة ، وإذا أطلق لفظ الهجرتين ، فإنه يراد بهما : هجرة الحبشة وهجرة المدينة .

ويرى ابن الأثير أن الهجرة هجرتان :

إحداهما : التى وعد الله عليها الجنة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (١) .

فكان الرجل يأتى النبى – صلوات الله عليه – ويدع أهله وماله لا يرجع فى شئ منه ، وينقطع بنفسه إلى مهاجره .

والأخرى : من هاجر من الأعراب ، وغزا من المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر ، وليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة)(٢) .

والهجرة التى يريدها منا الإسلام ، هى الهجرة التى هى من أجل نصرة الدين ، والعمل على نشره والدعوة إليه بالحسنى كما قال عز وجل : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) .

وأما الهجرة لغير هذا الغرض ، فلا خير فيها ، بل ولا تصح ، وقد صح أن رجلاً على عهد النبى (ﷺ) هاجر من أجل أن يتزوج بامرأة ، فصحح النبى (ﷺ) الغرض ، أو الهدف الذى يجب أن تكون من أجله الهجرة

---

(١) سورة التوبة ، آية رقم (١١١) .

(٢) الهجرة بداية مراحل التحول والانطلاق – ص ٢٧ ، ٢٨ بتصرف يسير للدكتور / محمد عبد الله السمان – ط : مجمع البحوث الإسلامية ، – الكتاب السادس والأربعون – المحرم سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

(٣) سورة النحل آية رقم (١٢٥) .

فقال : (ﷺ) فيما رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (١) .

قال الإمام ابن دقيق العيد : نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة ، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس ، فلهذا خص في الحديث ذكر المرأة دون سائر ما ينوى به ، وعن عبد الله بن مسعود قال : من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك ، وهاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس ، فكان يقال له مهاجر أم قيس ، ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فابت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه مهاجر أم قيس)(٢) .

وهكذا فالهجرة من أجل الدين ، والعمل من أجله ، لا يعرفها إلا الرجال الافذاذ أما من يهاجر من أجل غرض أخر فلا هجرة له ، وصحابة النبي (ﷺ) قد أفرزت الهجرة فيهم معرفة الطيب من الخبيث ، معرفة من هاجر من أجل الحق أو من هاجر من أجل غرض آخر .

النبي (ﷺ) في هجرته ، كسائر إخوانه المرسلين :

إن القارئ لتاريخ دعوة الأنبياء السابقين على رسول الله (ﷺ) يجد أن من هؤلاء المرسلين من هاجر بدعوته إلى الله عز وجل – كأبي الأنبياء إبراهيم ولوط وموسى ، ونوح عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

ورسول الله (ﷺ) (لم يكن بدعا من الرسل ، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة ، حفاظا عليها ، وإيجادًا لبيئة

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي : ج١ ص٦- ط : دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ج١ – ص١٠ – ط : دار الفكر بدون تاريخ .

خصبة تتقبلها وتستجيب لها ، بل تزود عنها ، فقد هاجر عدد من الانبياء قبله من أوطانهم ومساقط رؤسهم لنفس الاسباب التى دعت رسول الله عليه السلام إلى هجرته .... إن هناك أوجه شبه عديدة بين الهجرات النبوية ، وكذلك أوجه اختلاف ، ربما فى السلوك وربما فى الوسيلة ، لكنها متفقة فى تحقيق المعنى والغاية معا ، فليس من الخير للدعوة من الدعوات الاصلاحية التى تهدف إلى استقرار البشرية وسعادتها ، ولا من مصلحة اتباعها ان تظل هذه الدعوات قابعة فى حيز ضيق ، لتبقى غرضا لكل مستخف ، فإذا ضاقت الأرض بها فأرض الله واسعة ولا يعدم الوجود ناسا آخرين يرحبون بها ويحسنون استقبالها ، ويفتحون لها صدورهم) (١) .

ان رسول الله (ﷺ) لم يكن على خلاف سنن إخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين الذين هاجروا بدعوتهم إلى الله عزوجل – فلئن كان ما سبقه من إخوانه قد هاجروا ودعواتهم خاصة وليست بعامة ، فحرى به (ﷺ) أن يهاجر من أجل الدعوة العامة والشاملة .

ولقد قلل بعض المغرضين من المستشرقين من شأن حدث الهجرة، على اعتبار أنها حدث كسائر الأحداث التى لا تستحق التعويل عليها لأهداف دنيئة، تعنى فى النهاية عدم عالمية الدعوة وشمولها، ولكن عالمية الدعوة تستدعى أن يهاجر النبى (ﷺ) وصحابته الاجلاء من أجلها، وسوف نفصل القول فى هذا عند الحديث عن نقطة : الهجرة وعالمية الدعوة .

وإذا كان العقلاء من الناس يحبون لدعوات الإصلاح أن تنتشر ويعم خيرها فحرى بصحابة النبى (ﷺ) وهم أعقل الناس ، بل هم الصفوة

---

(١) الهجرة بداية مراحل التحول والإنطلاق : للدكتور / محمد عبد الله السمان – ص ٣٣، ٤٥ – بتصرف – ط : مجمع البحوث الإسلامية – الكتاب السادس والأربعون – المحرم سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

المختارة بعد أنبياء الله تعالى ورسله – حرى بهم أن يقيموا دعوة الإسلام فى مهجرهم ، كما أقاموها من قبل فى قلوبهم .

وإنه لمن المعلوم من الدين بالضرورة أن أهداف الدعوات الإلهية هى تحرير الانسان من الظلم والاستعباد ، فلا عبودية لغير الله تعالى ، والعبودية لله تعالى – شرف ما بعده شرف ، أما العبودية لغير الله فهى ذل ومهانة ، لذا فإن على أتباع الدعوات أن يقوموا بالدور المنوط بهم ليحققوا الهدف الذى خلقوا من أجله وهو عبادة الله عز وجل – وعمارة الارض بالخير والنفع والصلاح ، حتى ولو أدى ذلك إلى ترك الديار والأوطان ، وهو ما قام به النبى (ﷺ) وصحابته خير قيام ، فامتدحهم الله عز وجل بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

وامتدح سبحانه إخوانهم الأنصار الذين أووهم وناصروهم فقال:﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

مشروعية الهجرة :

أما عن مشروعية الهجرة فيرى صاحب المنار أن الهجرة (شرعت لثلاثة أسباب أو لثلاث حكم : اثنان منها يتعلقان بالأفراد والثالث يتعلق بالجماعة .

أما الأول : فهو أنه لا يجوز لمسلم أن يقيم فى بلد يكون فيها ذليلا مضطهدا فى حريته الدينيه والشخصية ، فكل مسلم يكون فى

(١) سورة الحج : الآيتان : ٥٨، ٥٩ .
(٢) سورة الحشر : آية رقم : ٩ .

مكان يفتن فيه عن دينه ، أو يكون ممنوعا من إقامته فيه كما يعتقد يجب أن يهاجر منه إلى حيث يكون حرا فى تصرفه وإقامة دينه ، وإلا كانت إقامته معصية ، يترتب عليها مالا يحصى من المعاصى ، وإلا جاز له الاقامة .

الثانى : فهو تلقى الدين والتفقة فيه ، وكان ذلك فى عصر النبى (ﷺ) خاصا بالزمن الذى كان فيه إرسال الدعاة والمرشدين من قبله(ﷺ) لقوة المشركين على المسلمين وصدهم إياهم عن ذلك) (١)

وهذان السببان المتعلقان بالافراد لهما أثر كبير فى نفع الفرد ونفع الإسلام ، فالأول : من أجل عقيدته ،والثانى : من أجل تحصيله العلم لتقوية هذه العقيدة ونفع الأمة بهذا العلم .

والعاملان مطلوبان فى كل عصر ومصر ، ففى هذا العصر نجد كثيرا من الاضطهادات التى تحاق بالمسلمين فى كل مكان ، من أجل توهين العقيدة فى قلوبهم ، بل وتنصيرهم ، كذا فالهجرة من أجل حرية العقيدة وإقامة شعائر الدين واجبة ، وكذا لتحصيل العلم لرفع شأن الامة ولرفع الحرج عنها .

وأما الثالث : وهو المتعلق بجماعة المسلمين : فهو أنه يجب على مجموع المسلمين أن تكون لهم جماعة،أو دولة قوية تنشر دعوة الإسلام ، وتقيم أحكامه وحدوده ، وتحفظ بيضته ، وتحمى دعاته وأهله من بغى الباغين ، وعدوان العادين ، وظلم الظالمين ، فإذا كانت هذه الجماعة او الدولة أو الحكومة ضعيفة يخشى عليها من إغارة الأعداء ، وجب على المسلمين أينما كانوا وحينما كانوا أن يشدوا أزرها ، حتى تقوى وتقوم بما يجب عليها ، فإذا توقف ذلك على هجرة البعيد عنها إليها ، وجب عليه ذلك وجوبا قطعيا لا هوادة فيه ، وإلا كان راضيا بضعفها ، ومعينا لأعداء

---

(١) تفسير القرآن الحكيم : المسمى تفسير المنار : للإمام السيد / محمد رشيد رضا – ج٥ – ص٢٩٥ – باختصار طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م .

الإسلام على إبطال دعوته وخفض كلمته ... وعا لا مجال للخلاف فيه أن الهجرة تجب دائما بأحد الأسباب الثلاثة) (١) .

فالأسباب الثلاثة يتوقف وجوبها أو فرضيتها على حسب حاجة الأمة إليها ، أو إلى أى واحد منها ، وما أحوج الأمة فى عصرنا هذا إلى هجرة المسلمين بعضهم لبعض وتلاقى بعضهم لبعض ، بل وموءازرة ومناصرة بعضهم ، حتى تظهر للإسلام دولته ، وتقوى شوكته ، وبذلك تحمى عقيدته .

١ – حال الدعوة الإسلامية قبل الهجرتين :

إذا ألقينا نظرة سريعة على حال الدعوة إلى الله – عز وجل – قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة،وهجرتهم إلى المدينة فإننا نجد أنفسنا أمام تناقض غريب وعجيب فى مسلك قريش إزاء الدعوة إلى هذا الدين الجديد الذى جاء به خاتم الرسل محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم–

فالذين كانوا يشهدون له – صلى الله عليه وسلم – بالأمس بأنه الصادق الأمين ، والذى جمع من خصال الخير الكثير مثل صلة الرحم ، ونصرة المظلوم ، وإكرام الضيف،وغيرها من الخصال الحميدة (*) التى كانت شائعة وذائعة لدى كثير من العقلاء فى بلاد العرب فى الجاهلية، والتى عجز الكثير من شبابهم على أن يكونوا فى مستواه أو قريبين من هذا المستوى ، فلم يتيسر لهم نجد أن العداء قد بات أكيداً من هؤلاء

---

(١) السابق : ٢٩٥، ٢٩٦ بتصرف يسير .

(*) ذكرت هذه الصفات لما أخبر النبى (ﷺ) خديجة رضى الله عنها – بأمر الوحى وقال لها " لقد خشيت على نفسى " قالت له – رضى الله عنها – كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

انظر البخارى : كتاب الإيمان – باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله (ﷺ) جزء واحد – ص ٧ بحاشيته السندى – ط : دار إحياء الكتب العربية ، مسلم بشرح النووى –ج٢–ص١٩٧، ٢٠٠ – ط : الرابعة دار الريان .

القرشيين حينما جاهرهم النبي (ﷺ) بالدعوة إلى دين الله – عز وجل – هذا العداء سببه الأكيد وعلته الدفينة يكمن فيما يأتي :

١ – إن هذا الدين خطر عظيم يهدد سيادتهم ويقلق أمنهم وراحتهم ويقلب الأوضاع التي تعارفوا عليها وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلاً بعد جيل فإن هذا الدين يسوى بين العبيد والسادة فكيف يكونوا هم وعبيدهم بمنزلة سواء .

٢- إن هذا الدين ينذرهم عذاب الآخرة ، ويخوفهم عاقبة هذه الحرية الواسعة التي يستمتعون بها ، وذلك كبت للشعور ، وتضييق للحرية ، ومبالغة في الحرمان ، وانحدارهم إلى منزلة العبيد .

٣ – إن هذا الدين فوق هذا وذاك يدعوهم إلى إله واحد ، فيقضي بذلك على مكانة هذه الأوثان التي كانوا يسودون بها على العرب ، فبأي شئ يسودون إذا زالت عن الآلهة المزعومة قداستها وانحطت مكانتها وأدرك العرب أنها لا تنفع ولا تضر ولا تغني عنهم من الله شيئا) (١)

هذا النبي الذي لقب بالصادق الأمين والذي لا يكذب عليهم في خيل قادمة من ليل أونهار لما صدع بالدعوة إلى الله تعالى كما أمره ربه ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) نجد أنهم كذبوه وأهانوه قال الإمام ابن كثير : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمر بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال " لما أنزل الله – عز وجل – ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾(٣) أتى النبي (ﷺ) الصفا فصعد عليه ثم نادى " ياصباحاه " فاجتمع الناس إليه بين رجل

---

(١) صور من حياة الرسول (ﷺ) : للأستاذ : أمين دويدار – ص ١٣٥، ١٣٦ – ط : الرابعة دار المعارف وينظر حياة محمد (ﷺ) – الدكتور / محمد حسين هيكل – ص١٣٩ ، وما بعدها .

(٢) سورة الحجر : آية رقم : ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء : آية رقم : ٢١٤ .

يحن إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله (ﷺ) " يابنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب ، أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم من صدقتمونى "

قالوا : نعم قال " فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب لعنه الله – تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ، وأنزل الله – عز وجل– " تبت يدا ابى لهب وتب " (١) .

إننا حين ننظر إلى هذا الموقف تتجلى لنا الامور التالية :

أولا : إن النبى (ﷺ) وضع ما كان عليه من الصدق والأمانة التى اشتهر بها بينهم كأساس لتصديق دعوته (ﷺ) .

ثانيا : اتخذ النبى (ﷺ) من وسائل التبليغ للدعوة ما يمكن به أن يسمع الناس صوته .

ثالثا : استدلاله (ﷺ) بصدقه هو قبل البعثة على صدق دعوته بعد البعثة .

رابعا: لم يعبأ النبى (ﷺ) بمعارضة قريش له لا سيما أبو جهل – فالنبى (ﷺ) لم تكن دعوته من أجل زعامة دنيوية ، وإنما كانت دعوته لله رب العالمين .

خامسا : هذه الدعوة الخاصة بعشيرته الأقربين ، أظهرت لنا المعارضة الشديدة من هؤلاء خوفا على زعامتهم ومصالحهم وبالتالى فإن رسول الله (ﷺ) قد علم علم اليقين أن عليه أن يستعد للمواجهة ، وإذا لم تثمرا لمواجهة بينه وبينهم فى مكة ، فلتكن الثمرة بعد الهجرة إلى المدينة أو إلى أى مكان آخر .

---

(١) البداية والنهاية : للإمام العلامة ابن كثير –ج٢ – ص٤٧ – ط: الأول سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١ م – دار الفكر العربى .

ويعلق الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى على دعوة النبى(ﷺ) أهله وعشيرته الأقربين فيقول :

وفى هذا المقطع من سيرته – عليه الصلاة والسلام دلالات ثلاث نجملها فيما يلى :

أولا : إن رسول الله (ﷺ) حينما صدع بالدعوة إلى الإسلام فى قريش وعامة العرب فاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه او يألفونه ، نجد ذلك واضحا فى رد ابى لهب عليه ، ثم فى اتفاق معظم المشركين من زعماء قريش على معاداته ومقاومته .

ثانيا : كان من الممكن أن لا يأمر الله رسوله بإنذار عشيرته وذوى قرباه خاصة ، اكتفاء بعموم أمره الآخر وهو قوله " فاصدع بما تؤمر "(١) إذ يدخل أفراد عشيرته وذوى قرباه فى عموم الذين سيصدع أمامهم بالدعوة والإنذار فما الحكمة بخصوصية إنذار العشيرة ؟

والجواب عن ذلك أن فى هذا إلماحًا إلى درجات المسئولية التى تتعلق بكل مسلم عموما وأصحاب الدعوة خصوصا .

أما الدرجة التى تليها ، فهى مسئولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به من ذوى قرباه .

وأما الدرجة الثالثة : فهى مسئولية العالم عن حيه أو بلدته ، ومسئولية الحاكم عن دولته وقومه ، وكل منهما ينوبان فى ذلك مناب رسول الله (ﷺ) إذ هما الوارثان الشرعيان له (ﷺ) .

ثالثا : عاب رسول الله (ﷺ) على قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكير منهم ، وفى هذا دليل على أن مبنى هذا الدين – بما فيه من عقائد وأحكام – إنما هو على العقل

---

(١) سورة الحجر : آية رقم : ٩٤ .

والمنطق ، وأن المتوخى فى التمسك به إنما هو مصلحة العباد العاجلة والآجلة (١) .

ذلك هو حال المنكرين لدين الله – تعالى – الدين الخاتم ، من قوم البنى (ﷺ) وعشيرته قبل المجرتين ، رد وصد لرسول الله (ﷺ) ولدعوته بعد أن كانوا بالأمس يشهدون له بالصدق والأمانة ، وماثر الأخلاق التى لم يكن عليها أحد منهم أو من شابههم .

(١) فقه السيرة : للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى – ص ٨٠، ٨١ ، ٨٢ ، – ط : السابعة دار الفكر.

نماذج من الإيذاء للنبى (ﷺ) وصحابته الكرام ومدى تحملهم فى سبيل التمكين لهذا الدين :

أولا : إيذاء النبى (ﷺ) وصبره فى سبيل التمكين للدعوة :

إن كتب السنة والسيرة قد سجلت بعض ألوان الأذى المادية والمعنوية التى تعرض لها صاحب الرسالة محمد بن عبد الله (ﷺ) لكن هذا الأذى لم يكن حائلا أبدا بين الرسول (ﷺ) وبين تبليغ دعوة الحق سبحانه .

روى الإمام البخارى والإمام مسلم وغيرها عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه – قال " بينما رسول الله (ﷺ) قائم يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائى (١) ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجئ به ، ثم يمهله حتى إذاسجد وضعه بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم ،فلما سجد رسول الله (ﷺ) وضعه بين كتفيه ، وثبت النبى (ﷺ) ساجدا ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة – رضى الله عنها – وهى جويرية – فأقبلت تسعى ، وثبت النبى (ﷺ) ساجدا حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى رسول الله (ﷺ) الصلاة قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد " قال عبد الله – أى ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم

---

(١) قال الإمام ابن حجر العسقلانى : المرائى مأخوذ من الرياء وهو التعبد فى الملا دون الخلوة لمرى – فحاشاه أن يكون رسول الله (ﷺ) يقصد بعبادته غير الله – تعالى – فتح البارى شرح صحيح البخارى – ج١ – ص ٥٩٤ .

صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب قليب (١) بدر ، ثم قال رسول الله (ﷺ) وأتبع أصحاب القليب لعنة " (٢)

هذا نموذج مما لقيه النبي (ﷺ) من سفهاء ومشركي قريش ، يضعون على كتفه الشريف سلا الجزور وهي كرش البعير ، دمها وفرثها، وهو (ﷺ) يصلي ويناجي ربه عند الكعبة ، وهو إيذاء مادي ، ويبلغ منهم الإيذاء شدته والهوان قمته حينما يضحكون ويتمايلون ، وتأتي ابنته السيدة فاطمة – رضي الله عنها – لتزيل عن أبيها ما لحق به (ﷺ) من الأذى والقذر ، فتشتمهم كما هي رواية مسلم ، ولكن السفهاء الغلاظ لا يعبئون بها.

كل هذا ورسول الله (ﷺ) صابر على أذاهم ، متذرعا بما أمره به ربه في القرآن الكريم من الصبر الجميل ، وبما قصه عليه من أنباء إخوانه المرسلين الذين سبقوه ، وكان لهم هذا الحظ من الأذى ، وذاك النصيب من المعارضة من أقوامهم .

قال الله عز وجل ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣)

وقال سبحانه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾(٤)

(١) القليب : هو البئر يذكر ويؤنث : المعجم الوسيط – ج٢ – ص ٧٥٣ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ح١- ص٥٩٤ – كتاب الصلاة – باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى – ط : دار الفكر ، وينظر صحيح مسلم بشرح النووي – ح١٢ – ص ٥١-٥٢-٥٣ رقم ١٧٩٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه – ط : مؤسسة مناهل الفرقان – بيروت .

(٣) سورة فصلت : آية رقم : ٤٣ .

(٤) سورة الإنسان :آية رقم : ٢٤ .

وقال عز وجل ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١) .

وقال عز وجل ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (٢)

ونموذج آخر لهذا النبي (ﷺ) وهذا النموذج يتبين منه مدى الشدة والعنف ، لا سيما من هذا الذي طبع الله – عز وجل – على قلبه أبو جهل عليه اللعنة .

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو جهل هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم قال فقيل له نعم فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله (ﷺ) وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه إلاّ وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال فقيل له مالك فقال إن بينى وبينه لخندقا من نار وهَوْلاً وأجنحة . فقال رسول الله(ﷺ) لودنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال : فأنزل الله – عز وجل – لا ندرى فى حديث أبى هريرة أو شئ بلغه " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى – يعنى عز وجل – أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَهِ كَلَّا لَا تُطِعْهُ – زاد عبيد الله فى حديثه قال وأمره بما أمره وزاد ابن عبد الأعلى فليدع ناديه – يعنى قومه "

قال الإمام النووي : ولهذا الحديث أمثلة كثيرة فى عصمته (ﷺ) من أبى جهل وغيره ممن أراد به ضررا (٣) .

---

(١) سورة الطور : آية رقم : ٤٨ .

(٢) سورة الأحقاف : آية رقم : ٣٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب قوله تعالى: " إن الإنسان ليطغى " مجلد ٦ ح١٧ – ص١٣٩، ١٤٠ – رقم ٢٧٩٧ .

إن هذه الأحاديث وأمثالها تدلنا على المدى الظالم الذى لقيه رسول الله (ﷺ) من قومه ، لكن حراسة الله – عز وجل – له وعصمته إياه حالت بينهم وبينه (ﷺ) .

وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٢)

ويابى الله – تبارك وتعالى – إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، ولو كره الكافرون .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣)

وقال سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٤)

هذا جانب من الإيذاء لرسول الله (ﷺ) فضلا عن اتهامات أخرى وإيذاءات وبذاءات ، كاتها مهم له (ﷺ) بالسحر تارة ، والكذب تارة ، وبالجنون تارة أخرى﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ (٥)

ولدرجة أنه كانت هناك مؤامرة لاغتياله (ﷺ) على يداثنين منهم، وهما عمير بن وهب الجمحى ، وصفوان بن أمية ، وقد أسفرت هذه

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٦٧ .
(٢) سورة الطور : آية رقم : ٤٨ .
(٣) سورة التوبة : آية رقم : ٣٣ .
(٤) سورة الصف : آية رقم : ٨ ، ٩ .
(٥) سورة الحجر : آية رقم : ٦ .

المؤامرة بحمد الله تعالى عن خير عظيم ألا وهو إسلام عمير بن وهب الجمحى (١) .

كل هذا ورسول الله (ﷺ) واثق بأن الفرج قريب ، وأن الدعوة إن لم يقدر لها الذيوع والانتشار هنا فى مكة ، فسوف تكون الهجرة إلى مكان آخر تنطلق منه الدعوة إلى آفاق أرحب وأوسع .

ثانيا : إيذاء الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وصبرهم على ذلك: -

لئن كان إيذاء النبى (ﷺ) على النحو الذى سلف مع ما كان عليه من منعة من عمه أبى طالب وبنى هاشم وبنى المطلب ، فلقد استجاب بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب لما طلب منهم أن يمنعوا محمدا من قريش (فاستجابوا له جميعا إلا أبا لهب فإنه صارحهم العداوة وانضم إلى خصومهم عليهم) (٢) .

نقول لئن كان إيذاء النبى (ﷺ) وهو الذى منع ، فإن إيذاء الصحابة لا شك كان أشد وأنكى ، كان إيذاءا تشيب من هوله الولدان ، ولكنهم – رضوان الله تعالى عليهم – صبروا على ألوان العذاب التى لحقت بهم ، واثقين بأن فرج الله – تعالى – قريب ، فلذلك كانوا يستعذبون هذا العذاب لأنه فى سبيل الدعو إلى الله – تعالى .

الصحابة يصبرون على العذاب :

وصحابة النبى (ﷺ) تلكم الفئة المؤمنة ، تصبر على العذاب وتستصغره أمام العقيدة ، التى هداهم الله – تعالى – إليها ، تلكم

---

(١) ينظر فى ذلك قصة إسلام عمير بن وهب فى السيرة النبوية : لابن هشام ج١ – ص٦٦١ وينظر أيضا الرحيق المختوم : للشيخ / صفى الرحمن المباركفورى – ص٢٥٢ – ط : الثالثة دار الوفاء – سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٢) حياة محمد (ﷺ) : للدكتور / محمد حسين هيكل – ص ١٠٩ .

العقيدة التى لا تعرف الجبن أو الخور والتى لم يفل هذا العذاب من عزمها شئ .

ولنقرأ قول الله تعالى : حكاية عما لحق بهم من أذى وتنكيل وسخرية واستهزاء فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ (١)

قال الإمام الفخر الرازى فى شرح الآيات الكريمة ، وفيه مسائل :

المسألة الأولى : ذكروا فى سبب النزول وجهين :

الأول : أن المراد من قوله تعالى " إن الذين أجرموا " أكابر المشركين كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل السهمى ، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم .

الثانى : جاء على – رضى الله عنه – فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكون وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا : رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل على إلى رسول الله (ﷺ) .

المسألة الثانية : أنه تعالى حكى عنهم أربعة أشياء من المعاملات القبيحة :

فأولها : قوله تعالى : " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون " أى يستهزئون بهم وبدينهم .

---

(١) سورة المطففين : آية رقم : ٢٩ – ٣٣ .

وثانيها : قوله تعالى : " وإذا مروا بهم يتغامزون " أى يتفاعلون من الغمز وهو الإشارة بالجفن – والغمز أيضا بمعنى العيب .

وثالثها : قوله تعالى " وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين " معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعيم بالدنيا أو يتفكهون بذكر المسلمين بالسوء .

ورابعها: قوله تعالى " وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون " أى هم على ضلال فى تركهم التنعيم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود أم لا ، وهذا ما حكاه الله – تعالى – عن الكفار (١) .

هذا ما كان من أمر المشركين أو المنافقين على الوجهين السابقين فى سبب نزول الآيات وما كان من شأنهم مع المؤمنين فى المعاملات الأربعة ، لكن هل فلّ ذلك من عضد المسلمين شيئا ؟

الواقع ان ذلك لم يحدث ، بدليل ما كان من بلال وعمار بن ياسر وأبوه ياسر وأمه سمية ، وخباب ، وغيرهم من المستضعفين .

يقول الشيخ : محمد الغزالى (من هؤلاء – عمار بن ياسر – وهو من السابقين فى الإسلام ، وكان مولى لبنى مخزوم أسلم وأبوه وأمه ، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها، ومر بهم النبى (ﷺ) وهم يعذبون فقال صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة ، فمات ياسر فى العذاب ، وأغلظت امرأته " سمية " القول لأبى جهل فطعنها فى قلبها بحربة فى يديه فماتت ، وهى أول شهيدة فى الإسلام ، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة ، ويوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتفريق أخرى ....

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : للإمام / فخر الدين الرازى – ج٣١ – ص ٢٨٩، ٢٩٠ – ط : الأولى – سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – دار الغد العربى .

ومن هؤلاء أيضا " بلال بن رباح " كان سيده أمية بن خلف – إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يقلبه على الرمال الملتهبة ظهراً لبطن ويأمر بالصخرة الجسيمه فتلقى على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات فما يزيد عن ترديد أحد أحد "(١)

قلوب كالحجارة أو أشد قسوة :

إن ما فعله المشركون من العذاب حيال هؤلاء المستضعفين لينبئ بقلوب كالحجارة أو أشد قسوة ، بل إن الحجارة فيها بعض الخير عن هذه القلوب ، فالحجارة أحياناً يتفجر منها الأنهار التى هى ينابيع الخير ، ومنها من يشقق فيخرج منه الماء ، ومنها حجارة تهبط من خشية الله ، أما هؤلاء ، فلم تلن لهم قلوب ، ولم تزرف لهم عيون ، بل كانوا يتلذذون بهذا العذاب ، فتستشهد سمية وتموت ياسر من العذاب ولا أحد يحرك ساكنا، لكن صحابة رسول الله (ﷺ) يستصغرون ذلك العذاب أمام الإيمان الحق الذى تتضاءل أمامه الجبال ، ويهون فى سبيله كل عذاب ، فهاهم يتحدثون عن ذلك – من باب التحدث بنعمة الله عليهم فلقد اعطوا من الصبر ما ثبتهم على الحق .

إن واحداً من رجال الصحابة – وهو خباب بن الأرت – يفتن مرتين ، مرة فى بدنه ومرة فى ماله ، لكن ذلك لم يصده عن اتباع الحق.

فأما التى فى بدنه فيرويها ابن سعد فى طبقاته : فعن الشعبى : دخل خباب بن الأرت – (ﷺ)– على عمر بن الخطاب – (ﷺ) – فأجلسه على متكئه وقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا الا رجل واحد ، قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) فقه السيرة : للشيخ / محمد الغزالى – ص ١١١، ١١٢ ، حياة الصحابة : للكاندهلوى – ج١ ص ٢٣١ وما بعدها – ط : الاولى سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩١ م – دار المنار – تحقيق : محمد شحاته إبراهيم ، محمد رزق البداية والنهاية : لابن كثير ص ٦٩، ٧٠ ، ٧١ – ط : الاولى سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م – دار الغد العربى .

قال بلال ، فقال خباب : ما هو بأحق منى ، إن بلالاً كان له فى المشركين مايمنعه الله به ، ولم يكن لى أحد يمنعنى ، فلقد رأيتنى يوماً أخذونى فأوقدو إلى ناراً ثم سلقونى فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الأرض – أو قال برد الأرض – الا بظهرى ثم كشف عن ظهره) (١) .

هذه واحدة وهى التى فى بدنه ، يسلق فى النار ، ويضع احد العتاة رجله على صدره ليشتد لهيب النار فى جسده ، أى ليطفئ جسده النار كما يفعل بالمجرمين الآن من صنوف العذاب .

وأما الثانية : وهى التى فى ماله فيرويها الإمام مسلم فى صحيحه: فعن مسروق عن خباب قال : كان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتيته اتقاضاه فقال لى لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، قال فقلت له إنى لن اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث .

قال وإنى لمبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد .

قال وكيع كذا قال الاعمش قال فنزلت هذه الاية ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (٢)

إن هذا الدعى المشرك العاص بن وائل يعلق رد الحق إلى صاحبه خباب الصحابى الجليل على مستحيل ، لكن خبابا رضى الله عنه كما لم

---

(١) الطبقات الكبرى : لابن سعد نقلا عن حياة الصحابة : للكاندهلوى – ج١ – ص ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : مجلد ٦ ج١٧ – ص ١٣٨ ، والآيات من ٧٧–٨٠ من سورة مريم .

يفتن فى بدنه بالنار ، فعُصِمَ من الفتنة فى المال ، فلله الحمد والمنة فى السراء والضراء .

ومن هاتين الواقعتين اللتين تعرض لهما سيدنا خباب حتى يفتن فى دينه ، يظهر لنا أن شياطين الشرك كانوا على أخبث وأفجر ما يكون، فالحرق بالنار ، والفتنة فى المال لا يتحمل أنين أى منها إلا واحد من رجال الهجرة ، الذين يريدون لدينهم السيادة والسلامة حتى ولو كان الثمن هو النفس والمال .

هذا هو حال المجتمع المسلم قبل الهجرة ، أذى شديد ، ومكايدة لشخص الرسول (ﷺ) وأيضا لصحابته الكرام – رضوان الله – تبارك وتعالى – عليهم أجمعين .

وهذا هو حال الدعوة فى ذلك الوقت ، لم يؤمن بها إلا نفر قليل ممن عصمهم الله – عز وجل – فصغرت أمامهم كل ألوان الأذى وكل صنوف العذاب التى سقنا طرفا منها ، وكانوا بحق أهلا لتحمل الأمانة – أمانة الدعوة – حتى لو خرجوا من ديارهم وأموالهم ليمكنوا لدين الله – تعالى صاحب العزة – وليعتزوا بدينهم ، وليكونوا أهلا لقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم : ١١٠ .

الهجرة إلى الحبشة وسنة الأخذ بالأسباب :

هذه هى الهجرة الاولى للمسلمين ، وهذه هى أول مرة يفارقون فيها أوطانهم فبعد الاضطهاد ، والتعذيب والتنكيل الذى لاقاه المسلمون المستضعفون فى مكة ، أشار عليهم رسول الله (ﷺ) بالهجرة إلى أرض الحبشة حيث التمكين لهم من الإبقاء على عقيدتهم وأداء شعائرهم .

قال ابن اسحاق (فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ن وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الإسلام) (١) .

ولا يهمنا هنا ذكر من هاجر أول أو ثانى مرة إلى أرض الحبشة بأسمائهم وتعدادهم ، فكتب السيرة قد أحصت أسمائهم وأعدادهم ، ولكن الذى ينبغى التنبيه عليه هو سنة الاخذ بالأسباب ، سواء فى الهجرة الأولى أو الثانية إلى أرض الصدق – أرض الحبشة – فالثابت أن المسلمين لما لم يمكنوا من إقامة دينهم فى مكة هاجروا إلى الحبشة اخذين بأسباب النصر لانفسهم والتمكين لدينهم .

ونحن مطالبون بالتمكين لديننا والزود عنه مثلهم فقد خاطبنا ربنا بقوله سبحانه ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢)

---

(١) السيرة النبوية : لابن هشام – ج١ – ص٢٢١، ٢٢٢ تحقيق وضبط : د / مصطفى السقا وآخرون – ط : دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ

(٢) سورة النساء : آية رقم : ١٠٠ .

ولماذا الهجرة إلى أرض الحبشة بالذات ؟

الإجابة متضمنة فى قول النبى (ﷺ) " فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق " ومن ذلك يتبين :

١ – إن النجاشى ملك لا كسائر الملوك ، وإنما وصفه الرسول (ﷺ) بالعدل ، والعادل لا يظلم عنده أحد .

٢ – إن أرض الحبشة أرض صدق ، ففيها من الطمأنينة والأمن ما يبعث على أن تهفوا النفوس بالتوقان إليها .

ولعل محبة النبى (ﷺ) ورغبته فى أن يهاجروا إليها لأنها بلد آمن (فلم يكن فى خارج الجزيرة بلد أكثر أمنا من بلاد الحبشة ، ومن المعلوم بُعْدُ الحبشة عن سطوة قريش من جانب ، وهى لا تدين لقريش بالإتباع كغيرها ... ولعل تلك لها أسباب منها :

١ – حكم النجاشى العادل

٢ – التزام الأحباش بالنصرانية ، وهى أقرب إلى الإسلام من الوثنية .

٣ – معرفة الرسول (ﷺ) بأخبار الحبشة من خلال حاضنته أم أيمن – رضى الله عنها (١)

لهذه الأسباب التى أخذ النبى (ﷺ) بها نجحت الهجرة الأولى ، والثانية إلى الحبشة ، إلى الحد الذى يدعونا إلى القول بأن الرجال الذين هاجروا إلى هذه الأرض كانوا بحق ، دعاه حق وسفراء صدق ، لدى هذا الملك الصالح " النجاشى " .

---

(١) السيرة النبوية : للدكتور / على محمد الصلابى – ج١ – ص ٢٢٢ باختصار – ط : الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

من مظاهر الدعوة إلى الدين الجديد فى أرض الحبشة :

ومن مظاهر دعوة المسلمين إلى دين الحق فى أرض الصدق هذه، ما كان من امر جعفر بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى الرد على النجاشى ، حينما أرسلت قريش رسلها فى طلب المهاجرين ، وإرادة وقوع الدسيسة بين النجاشى وهؤلاء المهاجرين .

وقصة جعفر بن أبى طالب ووفد المهاجرين أوردتها كتب التاريخ والسير ، وننقلها عن العلامة شمس الدين الذهبى .

يقول (وخرج جعفر بن أبى طالب وأصحابه فرارا بدينهم إلى الحبشة ، فبعثت قريش عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، وأمروهما أن يسرعا ففعلا ، وأهدوا للنجاشى فرسا وجبة ديباج ، وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا ، فقبل النجاشى هديتهم ، وأجلس عمرا على سريره فقال إن بأرضك رجالا منا سفهاء ليسوا على دينك ولا ديننا، فادفعهم إلينا ، فقال حتى أكلمهم وأعلم اى شئ هم ، فقال عمرو : هم أصحاب الرجل الذى خرج فينا ، وإنهم لا يشهدون ان عيسى ابن الله ، ولا يسجدون لك إذا دخلوا ، فأرسل النجاشى إلى جعفر وأصحابه ، فلم يسجد لا هو ولا أصحابه وحيوه بالسلام ،

فقال عمرو : ألم تخبرك بخبر القوم ؟

فقال النجاشى : حدثونى أيها الرهط ، ما لكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانى من قومكم ، وأخبرونى ما تقولون فى عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا

قال : أفيهود أنتم ؟

قالوا : لا

قال : فعلى دين قومكم ؟

قالوا : لا

قال : فما دينكم ؟

قالوا : الإسلام

قال : وما الإسلام ؟

قالوا : نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : جاءنا به رجل منا عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله كما بعث الرسل إلى من كان قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء والأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله ، فصدقناه ، وعرفنا كلام الله ، فعادانا قومنا ، وعادوه ، وكذبوه ، وأرادونا على عبادة الأصنام ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا ،

فقال : النجاشى : والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التى خرج منها أمر عيسى ،

قال : وأما التحية : فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، فحييناك بها ، وأما عيسى فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه وابن العذراء البتول .

فخفض النجاشى يده إلى الأرض ، وأخذ عودا فقال : والله مازاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود ، فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك ،

فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا ، وما أطاع الله الناسُ فى حين ردّ إليّ ملكى ، فأنا أطيع الناس فى دين الله ! معاذ الله من ذلك...

قال : فقال النجاشى حين كلمه جعفر : ردوا إلى هذا هديته – يعنى عمرا – والله لو رشونى على هذا دَبْرَ ذهب – والدبر بلغته الجبل – ما قبلته ، وقال لجعفر وأصحابه : امكثوا آمنين وأمرهم بما يصلحهم من الرزق (١)

جعفر بن أبى طالب خير سفير لدى النجاشى :

من الحوار السابق يظهر جلاء أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه خير سفير ، بل خير داعيه ، لدى الملك – النجاشى – فحينما قال الرسولان من قريش إن هذا الدين (يقول فى عيسى وأمه قولا لا يليق بهما ، اهتز قلب الملك والبطارقة لهذا القول ، واعتبروه عدوانا على المسيحية وافتياتا على مقدساتهم المرعية ، فانتدبوا واحدا من ذلك الوفد الأبق ليناقشوه فيما نسب إليهم

فإذا جعفر بن أبى طالب ينبرى لهم ، ويبين بيانا شافيا : أن هذين الرجلين إنما أرادا الايقاع والدس ، وأن حقيقة الأمر : أن محمدا (ﷺ) جاء إليهم بعد أن طفح الكيل ، وطال الليل ، واشتد الظلم ، وساد البغى فى الأرض بغير الحق ، وفشا بين الناس الربا ، وكثر الزنا ، واسترق القوى الضعيف ، فكف جاح الطيش ، وكبح لجام الظلم ، وسوى بين الناس فى المعاملة ، وقضى على الرق ، ونهى عن الزنا ، وحرم الربا ، ودعا إلى أن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم قرأ جعفر بن أبى طالب " سورة مريم " وفيها الاشادة بعيسى وجهده والثناء على ما كان

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام : للحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبى – بتصرف . ص٨٣، ٨٤ – ط : الأولى سنة ١٩٩٦ م – دار الغد العربى وينظر السيرة النبوية لابن كثير ج٢ – ص١٤ وما بعدها – تحقيق : مصطفى عبد الواحد ط ١٤٢١هـ – ١٩٨٢ م دار المعرفة – بيروت – لبنان .

له من هدى وتقويم ، وتنزيه " مريم – عليها السلام " عن الفواحش ، والشهادة لها بطهارة العرض ونقاء النفس ،وبراءة الساحة ، وشرف المحتد، وحينئذ أبى " النجاشى " والبطارقة كل الإباء أن يشرطوا فى المسلمين ، الذين هاجروا إلى الحبشة أو يسمحوا لأى إنسان كائنا من كان أن ينالهم بسوء ، وظل هؤلاء المسلمون فى الحبشة ينالون الرعاية والكرم، والعناية والاهتمام حتى كانت الهجرة إلى المدينة) (١)

هكذا كانت الهجرة إلى الحبشة ، وكان فيها من التوفيق والأخذ بالاسباب ، ما يجعل المسلم معتمدا على ربه ، سبحانه فما على المسلم إلى أن يؤدى الدور المنوط به ، ويترك النتائج على الله – تعالى .

درس للدعاة من حوار جعفر :

نقول : إن الاحداث هى التى تصنع الرجال ، وتربى الابطال الشجعان ، وحدث الهجرة إلى الحبشة ، وما كان من أمر هذا الداعية والسفير المحنك – جعفر بن أبى طالب ليظهر من خلاله كيف كان الرد ، وكيف كانت طريقة العرض ، إلى الحد الذى جعل النجاشى وبطارقته يبكون ، ويقرون حسن ضيافة المسلمين وتأمينهم وعدم تسليمهم لقريش ، بل ورد الهدايا إلى رسل قريش .

فهل للدعاة من فائدة ؟ يا له من درس يتطلب من كل داعية كيف يحسن عرض الدعوة ؟ وكيف يأتى بما تلين به القلوب وتذرف منه العيون ، وقد يؤدى الداعية المسلم ما عليه ، وتكون النتيجة على غير ما ينبغى ، والواجب هنا هو الصبر والتحمل ، بل والتجلد فى سبيل التمكين للدعوة فـ(إذا كان البلاء قدر المؤمن وإذا شاءت إرادة الله – تعالى– أن يكون الامتحان يسيرا : أن يكون البلاء " بشئ " وليس بكل شئ فقد وجب على المسلم أن يصبر صبرا جميلا ، هذا الصبر الذى هو

---

(١) من فيض الرسالة : للدكتور / ابراهيم على أبو الخشب – ص ٩٧، ٩٨ – ط : الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .